# تربية الشباب في ضوء سورة يوسف

***The upbringing of youth in the light of Surah Yusuf***

د. شمس الحسين ظهير [i]
د. بادشاه رحمن الازهري [ii]

***Abstract:***

*The Holy Quran focuses on building up the moral character of human beings as the first revelation has pointed out the startup of human study with the name of Almighty Allah for development of life by education. Several surahs in the Holy Quran like surah Mumtahinah, Ahzaab and Hujuraat raise some specific issues of the human attitudes to be flourished. Surah Yusuf is one of these surahs which has distinguished theme for schooling and upbringing of the human attitudes. Many aspect of this surah has been discussed and pointed out by several scholars, but according to my knowledge, the education of youth's life has not been analyzed by scholars. So, I have raised the upbringing points for youth in this surah. I have acquired the descriptive method in this article; firstly, I have given basic theme of several verses having same idea. Then, I described the titled theme in the light of the relevant verses. Adding more, wherever I felt any point needs for supporting evidences or interpretation from Hadith, I provided it with providence of reference from primary*

[i] الأستاذ المساعد، مركز الدراسات العربية والإسلامية، جامعة النساء، صوابي
[ii] الأستاذ المساعد، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة ملاكند، ملاكند

*sources. This article lights the path for youth to decorate their lives in the light of surah Yusuf and this will increase in the research based thematic study of the Holy Quran.*

*Keywords: upbringing points, youth, surah Yusuf, thematic study*

**المقدّمة** من المقاصد العليا بنزول القرآن الكريم هي تربية نفس بشرية بالاطلاع على ما يحبه الله وما يسخطه بدلالته على ما سبق من الأمم إمّا ناجين بعملٍ بما دعاهم نبيّهم إليه، وإمّا راسبين بترك ما بيّن لهم أنبياؤهم من منهيات ومقبوحات. وكان هذا الترغيب إلى ما هدى الله إليه من منّه عزّ وجل بحيث أنعم على البشر بخلقه أولاً، ثم بعدم تركه عبثاً إلى حيثما تقوده نفسه، بل ربّاه إلى ما يتغذى به نفسه وما يتغذى به روحه معاً. قد صرّح الله عزّ وجل بهذا المقصد من التنزيل بحيث قال: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا.[i] وكذا قال عزّ وجل: الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ() أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ() وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى().[ii]

ثم يحتوي القرآن بعدد من مضامين من التوحيد، والرسالة، والآخرة، والتثبيت على أحكامه، وقصص الأمم السالفة وما إلى ذلك. والهدف الأساسي من كل هؤلاء المضامين وخاصّة من القصص هو تثبيت النفس المسلمة على ما تيقّن به من تصديق الإيمان بقلبها والإقرار بلسانها والعمل بجوارحها. وأما فيها من بيان الأنبياء الماضيين أو الصلحاء بأنهم واجهوا ظلماً ممن دعوهم إلى الله هو لتثبيت النفس على الحق كما قال الله عزّ وجلّ: وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ().[iii]

قد تبيّن مما تقدم من البيان أن المقصد العظمى من تنزيل القرآن هي تربية النفس البشرية، وما فيها من قصص الأنبياء فهو لتذكّر من يدعو إلى الله عزّ وجلّ كي يرسخ في قلبه أنه ينصر من والاه ومن كان لدينه نصيراً.

من بين هؤلاء القصص قصة يوسف في سورته، إذ هي من أمتع البيان حتى قيل إنّ أحسن القَصص هي سورة يوسف كما قاله عزّ وجلّ بنفسه: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ

كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ().[iv] وهي أطول قصة مسرودة في سورة واحدة بالنسبة إلى القصص الأخرى في القرآن الكريم.

قد بدأ الله تعالى من نشأة سيدنا يوسف عليه السلام في بيت عسر وصلابة؛ بيت أبيه سيدنا يعقوب عليه السلام في فلسطين حتى تملّك على عرش مصر كَمَلِكٍ صاحب خيارٍ ويدٍ طويلة مع اهتمام بالغ برعيته. إن يوسف عليه السلام من بين حياته يمرّ بمرائر العيش منذ المراهقة. وهذا الأمر يتقدم إلى نهاية السورة بهدوءٍ ورفق بمعنى أن جميع مزايا قصصية من صراعٍ وأحداث وزمان ومكانٍ وأشخاصٍ قد اجتمعت فيها.[v]

فهذه السورة تطالعنا لثلاث مراحل من حياة سيدنا يوسف عليه السلام؛ الطفولة، والشباب، والرجولة. أما الطفولة ففي بيت أبيه يعقوب عليه السلام ثم بعد بيعه في سوق مصر، وأما الشباب ففي بيت عزيز مصر ثم مسجوناً بيد امرأة العزيز. وأما الرجولة فحاكماً متنفذاً على خزائن مصر.

وتجتمع حياته في تمام مراحلها خصالاً تدلّ شُبّاننا على سبيل الحياة في مضايقها ومياسرها، وتعيّن لهم الخطط إلى وصول مراتب عالية. نحن في هذه المقالة نذكر الخصال التي قد تطوّرت في حياة يوسف عليه السلام من بداية السورة حتى نهايتها مرتّبة حسب أطوار عيشه. وهي خصال ترسم للشابّ خططاً ما لو تلقّاها بالقبول يسعد وينجح، ولو عضّ عليها بنواجذه تنزّة حياته، ويتطهّر فكره، ويتزكّى عيشه، وإن تولّ عنه تضيّق العيش لديه بجميع أنحائه.

1. **سيدنا يوسف عليه السلام في مرحلة الطفولة:**

- مصاحبة معروفٍ مع الوالدين:

الله سبحانه وتعالى ذكر في هذه السورة طفولة سيدنا يوسف عليه السلام، وذكر ما واجهه في نعومة الحياة من مقاساة ومتاعب. وأخذ بتطور حياته في بيت أبيه مع إخوته الحقّاد وعيشه الضيّق. فما كان سيدنا يوسف عليه السلام كأطفال غيره في مقاولته ومعاملته بحيث كان يصاحب أباه معروفاً حين خاطبه بكلمات هنيئةٍ وحنيناً إلى والده. يقول الله عز وجلّ فيه في القرآن الكريم: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ().[vi] ثم هو لا يعصي أمر أبيه بأن لا يقصّ رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيداً. ومن هنا نعرف أنه عاش معروف الأخلاق مع والده حين كان طفلاً يكاد أن يراهق.[vii]

- تهيئة لمهمةٍ قبل العزم به:

كلمة "الربّ" وما يشتقّ منها من المعاني قد تواترت في السورة، مشعرةً بأنها سورة تربيةٍ وتدريبٍ لمهات الأمور. وهي تدلّ على أن الله عزّ وجلّ يربّيه لمهة سيوكلها إليه. فكل مهمة تحتاج إلى تهيئة وتدريب قبله. ثم عندما ذكر سيدنا يوسف عليه السلام رؤياه لأبيه فأجابه أبوه بأن ربّك سيجتبيك ويعلمك من تأويل الأحاديث. وهو أيضاً إيناس له بخصوصية العلاقات بينه وبين الله كي يتيقّن نفسه في السنّ المبكرة أنه لا ربّ له سواه يربّيه. وكي لا ينسَ تربيّة ربّه إياه منذ الصغر حتى كبَره.[viii]

- الأكثرية ليست بدليل الصواب:

لمّا سمع رؤياه أبوه ففهم ما فيه من إيحاءٍ إلى سيادة سيدنا يوسف عليه السلام. وكما أن الناس يرون الأكثرية مصيبةً ويعتقدون الأقلية على مخطئة فكذا كانت إخوته يعتقدون أنهم أكثر وأخوهم واحد ومع هذا يحبه أبوهم أكثر منهم، ويستدلون بأنهم عصبةٌ. وقد أكّد الفرقان كلام الله من تخطئة هذه النظرة خطأ ظاهرة حين قال: وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله.[ix] وكذا هذا القول له عزّ شانه: وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ.[x]

ولقد نشاهد أن كم من قليل غلب بحقّه على الكثير بباطله، ومثال هذا في أكثر أحايين المحاربات بين المسلمين والكفرة ما زال ولم يزل. ولو كانت الأكثرية دليلاً للصواب لما انتصر القليل قطّ. ومهما كان الناس يستضعفون قلائل كما حدث عند إخوة يوسف في اعتقادهم الباطل حيث قالوا: إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ."[xi] لا يصير صواباً باستضعافهم وتحقيرهم لمستقيمين على الحقّ.

- كتمان السرّ مفتاحٌ لبلوغ المرام:

قد ينال قريبُ رجلٍ من شأنه ويضرّه من حسدٍ ناشئٍ لِما يُنعم الله عزّ شانه على الرجل. ولهذا لو شعر الرجل أن إفصاحه يجعل الناس يحقدونه؛ يخالفونه ويكيدون له وسينالون منه فليكتم أسراره. وفي السورة مثل إخوة يوسف عليه السلام حين رأوا أن أباهم يحبّه أكثر منهم، فقاموا بمكائدهم ليُبعدوه عن عين أبيه – يعقوب - عليه السلام. فلمّا عزموا أمرهم بطرحهم يوسف عليه السلام في الجبّ سلّاه الله بقوله: فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.[xii] وكذا سيدنا يوسف – عليه السلام – لم يذمّ إخوته حين سمعهم ينسبونه إلى السرقة حين أُخذ بنيامين - أخيه – بوجود صواع الملك

في وعاء بنيامين. فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم.[xiii] وهذه الخصلة من خصال الأنبياء - عليهم السلام – التي تخطّط للشباب خططاً لمراعاة الأُخوّة من العلّات.

2. **سيدنا يوسف عليه السلام في ريعان الشباب:**

- التجنب عن الخلو مع امرأة غير محرمة.

بعد أن كان سيدنا يوسف عليه السلام متبناً لعزيز مصر وبعد أن أكّد الزوج لامرأته أن تكرم مثواه وترجّى أن سينفعه يوسف بتبنّه. فلما بلغ أشدّه وآتاه الله حكماً وعلماً. وكان يسكن في بيت عزيز مصر فطلبت منه زوجته وراودته عن نفسه، فأنعم عليه الله وصرفه عن مكيدها إذ أنه رأى برهان ربّه.[xiv]

ونصل ممّا جرى في بيت الملك إلى أنه لا ينبغي للشباب خلوة مع امرأة فتاة لا يحل له الخلو بها. ومع ذلك أن يجتنب عن أسباب الفاحشة من كلام فاحش ومتابعة مسلسلاتٍ فاضحةٍ ومطالعة أدبٍ مكشوفٍ. لأن اطّلاع الرجل يصير مفكورته ثم تصير مفكوراته عمله، فإذا كان يتبعّد عن تلك الأفعال الشنيعة فعندئذ يعيذه الله من المقابح ويصرف السوء عنه ويتولّ حفظه. ويؤكّده قول الله عزّ وجلّ: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا () وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.[xv]

- المحايدة والعدل في القضاء:

لما راودت امرأة العزيز فتاها عن نفسه وغلّقت الأبواب ودعته إليها ليواقها ففرّ منها الفتى، واستبقا الباب ولقيا عند الباب زوجها الملك. فلمّا رآها في حيّز الظن السوء فانقلبت وأسرعت إلى الدافع الأنثوي وهو حملة عشوائية دون النظر في عواقبها فجعلت تتّهم سيدنا يوسف بالرغبة في الفُحش بأنه أراد بها سوءاً ولم يراع المحاسن التي قد أحسنها الملك إليه وآواه في بيته وتبنّاه. فمحاولته هذه من فعل شنيعٍ وهتكٌ لحرمتها. وكما يقال: الهجوم خير وسيلة للدفاع. فجمعت أمرها ضدّ سيدنا يوسف عليه السلام ثم سارعت إلى اقتراح العقوبة المناسبة عندها: إمّا أن يُسجن وإمّا أن يعذّب. فأفصح يوسف عليه السلام أنها التي قد طلبت منه أن يواقعها وهو من فعلها السوء ليس من مكائده فحكم بينهما بحكم متحيّز لا يناسب مع مكانة العزيز؛ سجن العزيز سيدَنا يوسف عليه السلام ليكون مبعّداً عن أعين الناس ويصيراً منسيّاً لديهم وتكون المأساة متروكة الكلام عنها أبداً.[xvi]

وقد تحزّب العزيز لامرأته في حكمه بينها وبين سيدنا يوسف عليه السلام حين رآى من مكائيدها الشنيعة الفاضحة ولم يحكم محايداً مرضياً. ومع ذلك أكد من زوجته أن تستغفري لذنبها فقط لأنها هي التي قد كادت مكيداً لمراودة سيدنا يوسف عن نفسه وطلبت منه السوء بها ولم يعقّبها العزيز بعقوبة تماثل عقوبته لسيدنا يوسف مع بروز نزاهته عليه السلام أمام العزيز.

- مدافعة البريء عن نفسه إذا اتّهم بالمعاييب:

نصل مما تقدّم في الفقرة السالفة من اتّهام امرأة العزيز سيدَنا يوسف عليه السلام ثم تبرئته نفسَه أمام العزيز عن الذنب الذي لم يهمّ به إلى أن على المتهم أن يدافع عن نفسه ولو كان أمام جبروت الظالم مهما كان الظالم ذا مكانة رفيعة تفوقه، أو له إحسان إلى المتهم. وعلى المتهم أن يقارع الظلم والبهتان ويهدّدهما كما قال: هي راودتني عن نفسي" ليقع في قلب العزيز أن هناك شيئاً يجب الفحص عنه. ثم تبينت البينة بأن لو كان قميصه مقدودا من القُبل لكان كاذبا في دعواه ولو كان القميص من الخلف مقدوداً لكان صادقا في الدفاع عن التهمة المفتراة عليه. وهذا الدليل عقلي يؤيده بأنه هو الذي استبق الباب هارباً فهي التي أمسكت بقميصه فتمزق من الخلف، ولو كان يطلب منها وتأبى لتمزق من الأمام.[xvii]

- التضرع إلى الله عز وجلّ في الاجتناب عن المعاصي:

نعرف من خلال القصة أن النساء لما سمعن بعشق زوجة العزيز بأنها تتهاوى أمام خادم تملكه فاستنكرتن الأمر وخطّأها ولُمنها بصنيعتها هذه. فلما سمعت بمكرهن دعتهن إلى قصرها واستقبلهن استقبالاً حارّاً، ثم قدّمت لهن من الفاكهة مع السكاكين لكل واحدة منهنّ. فلما انشغلن بذلك وأدخله عليهن فرأين جمالاً أخاذ الألباب وبهراً مختطفاً فقطعن أيدهن وتعجّبن منه فقلن: ما هذا بشراً، إن هذا إلا ملك كريم. فلما رأت الملكة أنهن قد أخذهنّ جمالة الأخاذ فاغتنمت الفرصة للرد القاطع عليهنّ لِما لُمنها لعشقها إياه ثم قالت لهن: لهو الذين يعيش لديّ في قصري وأنتنّ رأيتنّه ثواني قلائل، فكيف لمتُنّني لحبّي إياه؟

عندما ترى النساء اللّامات تصريحها بطلب ما أرادته منه عليه السلام فاجترأتن كلهن بمشاركتهنّ إياها في طلبها. رأى سيدنا يوسف عليه السلام أنهن لا يتخلفن من طلبهنّ فشكى إلى الله عزّ وجل: ربّ السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه. ومع ذلك لم يستوعب في دعائه بحيث دعا الله بصرف كيدهنّ عنه فقط لا أن يسأل العافية من كل مكائدهنّ.[xviii]

نستخرج من كلتا الفقرتين المتقدمتين أن على الشابّ المسلم إيثارَ البِرّ على الذنب ولو كان يضطرّه على اقترافه أحدٌ. وينبغي له أن يسأل الله العافية من كل البلايا لأنه سبحانه وتعالى يجيب حين يدعى ويقبل حين يُتضرع إليه.

- الاهتمام البالغ بدعوة التوحيد:

بعد دخول سيدنا يوسف عليه السلام السجن، رافقه فتيان في الدخول. فكان من إحسانه إليهما دعوته إياهما إلى التوحيد بدلائل عقلية لا نكير لهما عنها. وهذا من حزم رجلٍ إذا ما يريد المرافقة من الآخر، فيفتّش عن عقيدته وعمله لأنه تفيد الرجلَ المصاحبة التي تكون عند متديين بدين واحد لتكون كلمتهم واحدةً. وهذان الشيئان يقرّبان الرجل من الفوز والسعادة. ولأجل هذا يُعدّ صديق صالح لرجل من أكبر النعم عليه من الله. فسيدنا يوسف عليه السلام يخطابهما ويضع أمامهم فكرة تغرس في قلب صاحبيه بذوراً تنشب منها عمل إبداعي مقبول عند الله عزّ وجلّ. فلذا هو يستفهم منهما استفهام انكارٍ ويقول لهما: يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.[xix] فعقيدة الوحدانية لله عزّ وجلّ ترفع رجلاً على مكان مرتفعٍ يتمناه الرجل.[xx]

- التحلّي بالخلق الحسنة مثل العفة والأمانة والصدق:

ما زالت جماعة الأنبياء عليهم السلام قدوة في العفة والأمانة والصدق، وهو الأمر الذي جعل أممهم معترفين بمكانتهم العالية وخُلقهم الحسنة. ثم سيدنا ونبينا محمد عليه السلام كان سراجاً بارزاً في العفة والصدق حتى لم ينكر عليه أعداؤه في خلقه حين دعاهم إلى التوحيد على جبل الصفا حين قال لهم: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا.[xxi]

وهذا صدقه الذي لا يسع للعدو أن يتحوّلوا عنه حتى يكون لهم دليل عليه بكونهم محقين في الإنكار. وهذه الصفات الثلاث مباني الخلق الكريم. وكان نبينا يوسف عليه السلام متحلياً بتلك الصفات بحيث إذا تحدث صدق، وإذا عامل عامل الأمانة وإذا استثيرت شهوته عفّ.

وفي هذا دليل للشباب على التحلي بالخلق الحسنة الرفيعة. وهي ما توصل إلى المعالي وتصل الرجل بمكانة مرموقة في المجتمع. وهي ما تُنجي الرجل من فضيحة مالية أو جنسية لأن جميع الفضائح ترجع إلى كلتا الفضيحتين. ثم تُحصل على تلك الصفات باهتمام بالغ منه بأمور منها؛

- الاجتناب عن مطالعة الأدب الإباحي

- وعدم صحبة الأراذل
- وغض البصر
- والاجتناب عن الخلوة بامرأة أجنبية

ولما كانت المناهي المتقدمة مما تقرّب الرجل من الوقوع في كبائر الذنوب، فلذا قال الله عزّ وجلّ: وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً.[xxii] ولم يمنع من ارتكاب الفاحشة مباشرة بل بطريقة سد الذرائع للذنوب بحيث إذا كان الشابُّ يبعُد عما يوصله إلى الذنوب فقد تجنّب عن المآثم نفسها لأن من رعى حول حمى ملكٍ يوشك أن يقع في الحمى فيقترف الجريمة.[xxiii]

- تسلية لشابٍّ مؤمن مظلومٍ:

قد اختار سيدنا يوسف عليه السلام دخول السجن بدل أن يقع على امرأة العزيز لأنه كان ممن اصطفاهم الله برسالاته الكاملة. إننا على يقين قطعي أنه عليه السلام بريء وأما دخوله السجن فكان لفراره من المأثم. وكان إدخاله السجن تسلية لكل شابٍّ يختار ظلماً عليه ولا يحبّ أن يعصي الله عزّ وجل، وهو يعوذ من سخط الله عليه وما يؤدّي إلى السخط. والنصيحة لنا في قصة يوسف – عليه السلام- خاصّة وعامة قصص الأنبياء عليهم السلام أن نترك المعاصي ونهرب نحن الشباب إلى الله عزّ وجل لأن الشابّ الذي نشأ في عبادة الله يكون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظلّه ولو كان تدعوه الذنوب شبراً بعد شبرٍ إلى تلبث بها.[xxiv] وهناك شيء آخر هو أن ما طرأ على الإنسان من ظروف طرأ على الأنبياء – عليهم السلام- لأنهم من أحب الناس إلى الله وهم أشد الناس بلاءاً لأنهم الأمثل في الخلق.[xxv]

- لزوم التحذر في الإفتاء:

إن للعلم وحامله العامل عليه مكانة وأهمية بالغةً في الإسلام، وعلى حامل العلم عندما يأتيه أحد يستفتيه أن يفتي بما كان صوابا وحقاً. وإن لم يكن له علم بمسألة مستفتاة عنها فعليه أن يعترف بعدم علمه على المسألة. وهذا ما نراه في ملأ العزيز حين استفتاهم عن رؤياه فأجابوه بأنها أضغاث الأحلام وهم ليسوا بعالمين بتأويل تلك الأحلام. ونفس الموقف مرويّ عن أبن مسعود - رضي الله عنه - إذ هو يقول: من علِم فلْيقل، ومن لم يعلم فليقلِ اللّهُ أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلمُ.[xxvi]

فيلزم على الشابّ المسلم العالم أن يتحذر في إفتائه عندما يستفتيه أحد. وعليه أن يُبيّن الحق ولا يخاف فيه لومة لائم.

- إكرام أصحاب العلم:

الإسلام يركّز على تنزيل شخصيات على مكانة لائقة بمن كانت ومهما كانت. فمن حق الصغير على الكبير أن يرحمه وعلى الصغير توقيره.[xxvii] وكذا يجب على الناس وخاصّة لشبابهم أن يُكرموا علماءهم إذ فضّلهم الله بالعلم ولا يستوي عالم وجاهل لا يعلم شيئاً كما قال الله عزّ وجلّ: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ.[xxviii] وهذا الإكرام نراه عند الساقي حين أتى سيدنا يوسف عليه السلام وهو مسجون فيخاطبه بأقوال يلائم مكانته ويقول له: " يوسف أيها الصديق". وكذا بقوله: لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون".[xxix] فالساقي يعرف حق العالم، أي: لعلهم يعرفون تعبير الرؤيا من فيك أيها الصديق! فيعلمون قدرك فيبحثون عن أمرك بأنك سُجنت فينصفونك.

- الصبر على الشدائد والأذى:

لقد همّتنا هذه القصة بحيث نتعلّم الصبر على الأذى والشدائد عن سيدنا يعقوب عليه السلام لما فقَد ثلاثة من وُلده. فيوسف الذي فقده في حين صغره، وأبوه – عليه السلام – لا يعلم عنه شيئاً؛ لا يدري أين يعيش ولده الصغير الحبيب إليه إلا أنه على يقين أكيد أنه حي بسبب الرؤيا التي رآها يوسف – عليه السلام- ومع هذا هو يرجو لقاءه. ثم الثاني بنيامين الذي كان أخ العين ليوسف عليه السلام فإنه وقع في أسر عزيز مصر لمّا وُجد صواع الملك في رحله. فجوزئ بنيامين بقانون أن السارق يصبح أسيراً لدى المسروق منه. فأبوه سيدنا يعقوب عليه السلام يعرف مكانه ولكن لا يستطيع القدوم إلا أن صعوبة أمره أيسر من حال يوسف الذي غاب عن الأب. وأما ثالث الأولاد فالكبير المنفي طوعاً، لا يجرؤ على العودة ولقاء أبيه لأنه أباه أخذ منه موثقاً للعود بابنه بنيامين في هذه المرة. إنها لمصيبة كبيرة لا علاج لها إلا الرجوع إلى الله عز وجلّ بالصبر عليها ولذا هو يقول: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.[xxx] وكذا قال: عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً، إنه هو العليم الحكيم.[xxxi]

ولقد تعلمنا من القصة نقطة وهي شكوى الرجل وبث حزنه إلى الله في المكاره والشدائد كلها. وكذا أن ندفع اليأس ونجتهد في الحصول على المقاصد ولو كانت بعيدة عن مجهودنا بظاهر النظر. ولذا يأمر سيدنا يعقوب

– عليه السلام- بنيه بتحسّس من يوسف وأخيه الغائبين عنه جميعاً ويلقّنهم بعدم اليأس من رحمة الله المستعان.[xxxii]

- الإحسان إلى من أساءك السوء:

ومن هنا نقتطف من فوائد القصة هو عفو الرجل عن من أساء إليه ثم يأتي فيطلب منه العفو، وهي ما نراه في سيرة سادتنا يوسف وأبوه يعقوب عليهما السلام حين ظلم أخوه عليه بإلقائهم إياه في الجب وطرحه عن عيني الأب، ثم استماع لفحش الكلام منهم حين انتسبوه إلى السرقة المزمنة لما قالوا: إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل.[xxxiii] فهذا من دأب الصلحاء أن يعفو عن الظالم ويصفح عنهم دون لوم ولا عتاب. وهذه الصفة تليق بالشابّ خاصّة إذ هو يفور غضبه ويهزّه الشيطان على الانتقام بعد سيطرته على عدوّه. وهو الذي إذا ما يسمع عن ظلمٍ مجري عليه فيغضب. وله أن يدعو لمخالفيه بالخير والمغفرة كما قال يوسف عليه السلام: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.[xxxiv] وكما قال سيدنا يعقوب – عليه السلام – لما طلب منهم أولاده الاستغفار من الله: سوف أستغفر لكم ربي، إنه هو الغفور الرحيم.[xxxv]

نتائج البحث:

القرآن كله كتاب كامل لتربية النفس البشرية التي يطلب منها الله العقيدة الصالحة والعمل المقبول معاً. ونعثر على نقاط التربية عندما نقرؤ القرآن من بداية سورة الفاتحة حتى نهايتها باستعاذة المسلم بالله من الأشرار كلها، ولكن من بين تلك السور سورة يوسف تمتاز باهتمام تلك الخصال الحسنة. وما وصلنا إليه من تلك النقاط لتربية الشباب في ضوء هذه السورة في هذه المقالة فهي:

- أن يستعدّ الشابّ لكل أمر يريد الغوص فيه
- وأن يدعو كسيدنا يوسف عليه السلام إلى توحيد الله حيثما كان لأن التوحيد رأس الطاعات، وأن يتقي الله عزّ وجل في أموره كلها لأن التقوى ملاك الحسنات وأنه تعالى لا يضيع أجر من اتقى منه
- وأن يتذلّل إلى الله مع التواضع الخالص
- وأن لا يتدهّش من غلبة السلطان في إظهار الحقّ وبيانه مهما كان جائرا إذ لا مفوض إليه في أمر اللهُ فاعله

- وأن المُلك ليس بسبيل التكبر والعظمة بل هو من نعم الله على عبد أعطاه الله إياه. فله أن يجعل مُلكه داعية له إلى الجنة دون الساحب إلى النار

- الاجتناب عن المعاصي وما يدّعى إليها، كالخلوة بامرأة غير محرمة لأنها قادحة في العفة الأمانة العرَضية لأنه تعالى لا يهدي كيد الخائنين. فمستحيل لإنسان يخون في عرَض أو مال أن يحقّق أهدافه.

---

[i] سورة الإسراء17: 82
[ii] سورة هود 11: 1-2
[iii] نفس السورة: 20
[iv] سورة يوسف 12: 3
[v] قد كتبت مقالة علمية بعنوان: "المزايا القصصية في أحسن القصص: قصة يوسف" قد طبعت المقالة في مجلة تهذيب الأفكار. وهي مجلة علمية تُطبع فصلياً من جامعة عبد الولي خان بمردان، باكستان. انظر: مجلة تهذيب الأفكار، المجلد:1: العدد:1، ص 148 إلى 156.
[vi] سورة يوسف 12: 4
[vii] نفس السورة والآية
[viii] نفس السورة: 5، 6
[ix] سورة الأنعام6: 117
[x] سورة يوسف 12: 103
[xi] نفس السورة: 8
[xii] نفس السورة: 15
[xiii] نفس السورة: 77
[xiv] نفس السورة: 22-28
[xv] سورة الطلاق 65: 2، 3
[xvi] سورة يوسف12: 28-32
[xvii] نفس السورة: 24-28
[xviii] نفس السورة: 31-35
[xix] نفس السورة: 39
[xx] نفس السورة: 36-40
[xxi] صحيح البخاري، ت: محمد زهير، ج6، ص111، رقم الحديث: 4770
[xxii] سورة الإسراء17: 32
[xxiii] صحيح البخاري، الإمام البخاري، ج1، ص20، رقم الحديث: 52، وج2، ص111، رقم الحديث: 1423، وج8، ص163؛ الجامع الصحيح، الإمام مسلم، ج3، ص1219، رقم الحديث، 1599

[xxiv] صحيح البخاري، الإمام البخاري، ج1، ص133، رقم الحديث: 660؛ الجامع الصحيح، الإمام مسلم، ج3، ص1219، رقم الحديث، 1599

[xxv] انظر: الصحيح للبخاري، قد بوّب بعنوان: أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل" ج7، ص115

[xxvi] المصدر نفسه، باب سورة الروم، ج6، ص114، رقم الحديث: 4774

[xxvii] كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا. [سنن أبي داؤد، أبو داؤد، ج4، ص286، رقم الحديث: 4943؛ سنن الترمذي، محمد بن سورة الترمذي، ج3، ص385، رقم الحديث: 1919، 1920، 1921.

[xxviii] سورة الزمر 39: 09

[xxix] سورة يوسف12: 46

[xxx] نفس السورة: 18

[xxxi] نفس السورة: 83

[xxxii] نفس السورة: 87

[xxxiii] نفس السورة: 77

[xxxiv] نفس السورة: 92

[xxxv] نفس السورة: 98